

السَّخَرُوفُ وَالْكَتَابُ وَالسَّنَّةُ

بقلم

دكتور
محمد السبيحي بن عبد الوكيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

الحمد لله رب العالمين والعلاء والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين :
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

معنى السحر من الجانب القوي :

جاء في القاموس :

السحر ويحرك ويضم الرنة ، وجمعه سحور وأسحار وأثر دبرة البهيمة
وانفتح سحره وساحره عدا طوره وجاوز قدره

واقطع منه سحري يتسمى منه :

والسحر كسحور ما يتسحر به . والسحر قبيل الصبح كالسحري
والسحرية ، والباحض يعلو السواد وطرف كل شيء .

والسحر كل ما لطف مأخذه ودق : والفعل كتنسحج وإن من البيان
لسحر معناه والله أعلم : أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف قلوب
السامعين إليه ويذمه فيصدق فيه حتى يصرف قلوبهم عنه أيضاً .

وسحر كنع خدع كسحر وتباعذ وكسمع بكر .

والمسحور المفسد من الطعام والمكان لسكوة المطر أو من السكلا^(١)

وقال الإمام الفخر في التفسير الكبير :

لأعلم أن الكلام في السحر يقع من وجوه :

المسألة الأولى : في البحث عنه بحسب الله فنقول :

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٤٥ باب الرأ فصل السحر

ذكر أهل اللغة أنه في الأصل عبارة عن ما لطف وخفي سببه ، والسحر هو الغذاء الخفاء ولطف بجاريه ، قال لييد :

فسحر بالطعام وبالشراب

قبل فيه وجهان : (أحدهما) أنا نطل ونخدع كالمسحور المخدوع و (الآخر) نفذى وأى الوجهين كان فعناء الخفاء وقال :

فإن لسألينا فهم نحن فإيتا

عصافير من هذا الأنام المسحر

وهذا البيت يحتمل من المعنى ما احتمله الأول ويحتمل أيضاً أن يريد بالمسحر أنه ذو سحر والسحر هو الرقة وما يتعلق بالخلقوم ، وهذا أيضاً يرجع إلى معنى الخفاء .

ومنه قول عائشة رضي الله تعالى عنها . [توفي رسول الله ﷺ وبين مسحري ونحري] .

وقوله تعالى [إنما أنت من المسحورين] الذي يطعم ويشرب ، يدل عليه قولهم [ما أنت إلا بشر مثلنا] ويحتمل أنه ذو سحر مثلنا .

فهذا هو معنى السحر في اللغة (١)

ويقول الراضب في المفردات

والسحر يقال على معان :

الأول :

الخداع وتخييلات لاحقيقة لما نحو ما يفعله للمعجب بصرف الألبصار

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر ج ٢ - ٢٠٥

جعل يفعله لحفة يد، وما يفعله الغمام بقول من عرف عاتق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى [سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم]^(١) وقوله [يخيل إليه من سحرهم أنها تيسي]^(٢) وهذا النظر سمو موسى ساحراً فقالوا [يا أيها الساحر ادع لنا ربك]^(٣)

والثاني استعجاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله تعالى [هل أتيتكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفك أثيم]^(٤) وعلى ذلك قوله تعالى [ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر]^(٥)

والثالث :

وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطباع فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المخلفين .

وقد تصور من السحر تارة حسنة ف قيل إن من البيان لسحراً من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره . قال تعالى : [بل نحن قوم مسحورون]^(٦) أي مصرون من معرفتنا بالسحر .

وعلى ذلك قوله تعالى [إنما أنت من المسحورين]^(٧) قيل من جعل له سحر تنبهاً أنه محتاج إلى الغذاء كقوله تعالى [ما لهذا الرسول يأكل الطعام]^(٨)

وقيل معناه من جعل له سحر يتوصل بلفظه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه وعلى الوجهين حمل قوله تعالى [إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً]^(٩)

(١) الأعراف : ١١٦	(٢) طه : ١٦٠
(٣) الزخرف : ٤٩	(٤) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢
(٥) البقرة : ١٩٢	(٦) الحجر : ١٥
(٧) الشعراء : ١٥٣	(٨) الفرقان : ٧
(٩) الإسراء : ٤٧	

وقال تعالى [قال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً]^(١) وعلى
اللعن الثاني دل قوله تعالى [إن هذا إلا سحر مبين]^(٢) ، وقال تعالى
[وجاءوا بسحر عظيم]^(٣) وقال تعالى [أسحر هذا ولا يفلح
الساحرون]^(٤) وقال [لجميع السحرة لميقات يوم معلوم] إلى قوله تعالى
[فألقى السحرة ساجدين]^(٥) .

والسحر والسحرة : إختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ، والسحر
الخارج سحراً والسحور اسم للطعام المأكول سحراً ، والتسحر أكاه^(٦) .
ومن هنا تتوارد المعاني وتتداخل عن السحر بين الغامض والحقى ،
وبين الجذب والمستحوذ على الآليات ويتسع الإطار لهذه المعاني
ويقضى لبشمل الكلمة ، والبيان ، والشكل ، والجوهر ، والطبيعة ،
فيقال كله ساحرة ، وبيان ساحر ، ومظهر ساحر ، وجوهر ساحر ،
ولسان ساحر ، وبطبيعة ساحرة .

وعلى هذا المنوال نقيس في فتح التعمت ، وتنويع الصفات الجذابة
في مظهرها والحقية في مضمونها بالنسبة للفهم الفورى والإنطباع السريع .
ولكن حينما نبحث عن تعريف للسحر اصطلاح عليه في تحديد مدلوله
ومعناه بين العلماء والباحثين نجد أنهم أو معظمهم يكادون يتفقون على أنه
من يزعم الإتيان بخوارق لقوانين الطبيعة المتعارف عليها وذلك بفضل
القاذ وأموه ووسائل كثيراً ما تكون غريبة .

-
- | | |
|--------------------------|-------------------|
| (١) الإسراء - ١٠١ | (٢) المائدة - ١١٠ |
| (٣) الأعراف - ١١٦ | (٤) يونس - ٧٧ |
| (٥) القصص - ٢٨ - ٤٦ | |
| (٦) المفردات لراغب - ٢٢٦ | |

وهو بهذا المعنى يشمل التأثير في عالم الطبيعة وهو العالم المادى ، وفي عالم ما وراء الطبيعة وهو عالم الأرواح حيث يتصدى لهذا العالم من خلال الحواري والألفاظ والأسرار والحقايا والنبويات بصفة عامة وهذا كله معنى تقريبي وليس بتحديد للمفهوم تحديداً (اصطلاحياً) حيث يختلف العلماء والباحثون كثيراً في تفصيل ذلك وما حوله .

فهم من ينظر إلى السحر نظرية تقنية رافضة أساساً فلا يرى في السحر إلا مجموعة من الوسائل والوصف يستعملها من يلجأون إلى حيل الشيطنة وحيل أخرى حينما تعجز الوسائل العادية أن تصل بهم إلى هدفهم .

والشيطنة تقوم على حد قولهم يميل على المسحور بأن هناك وجرات ذكية ماهرة [خدم ووكلاء وشياطين] يستعملها الساحر وهي موجودة خارج نطاقه الطبيعي وتعمل لحسابه .

ومنهم من يميل إلى تحديد ظاهرة السحر في نظرة تقريرية تعتمد على الملاحظة واستقراء الأبعاد دون أن ترتفع إلى مراحل الإيجاز والحواري وإنما هي نوع من الترويض التدريبي والتعلمي يعتمد على ممارسة تصل بالسحر إلى درجة من القدرة [قدرة طبيعية دائماً] ونفسية مينة يتكشف بفسادها على رؤية اعتيادية في جوهرها ولكن لم يعود صاها المسحور في مظهرها بعد تمرية إرادته فتبدوله بحارقة وإيجازه فهي رؤية لم يستأنسها المسحور لا لفوضا وخفيها وسريتها وغيتها أساساً ، وإنما لأنه عاجز عن المواجهة بعد تمرية إرادته عن طريق مهارة الساحر وتدريبه .

والساحر يتدرج في اكتساب الترويض من مرحلة الاستيعاب إلى

مرحلة السيطرة إلى مرحلة الاستمالة والامتثال لهذه القدرة التي في جوهرها طبيعية ومكتسبة^(١) .

وهذا النهج قريب مما ذكره كثير من المفسرين وعلماء الإسلام من جهة تحديد المعنى والمفهوم لا من جهة وصفه وذمه ولا من جهة قبوله ومدحه لأن ذلك من أساس موضوعنا وما سنفصل الحديث عنه وعرض لأراء العلماء فيه .

فمجد الراجح يذكر ذلك حيث يرى أنه تخيلات لا حقيقة لها .

وأنه أيضا استعجاب معاوية الشيطان كما في نصوصه .

وكذلك الإمام الألوسي في تفسيره حيث يقول :

والمراد بالسحر أمر غريب يشبه الخارق — وليس به — إذ يجري فيه التعليم ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بإرتكاب القبائح قولاً كالرفق التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الفيطان وتسخيره ، وعمل كعباده المكواكب ، وإلتزام الجنابة وسائر الفسوق ، واعتقاداً كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبة إياه ، وذلك لا تستتب إلا بمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط التضام والتعاون فكما أن الملائكة لا تعان إلا خيار الناس المشبهين بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله تعالى بالقول والفعل ، كذلك الشياطين لا تعاون إلا الأشرار المشبهين بهم في الجبالة والنعاسة قولاً وفعلًا واعتقاداً .

(١) تأملات إسلامية د / رشدي فكار [السحر مدلوله] ص ٨٨

وما بعدها يتصرف .

وهذا يتميز الساحر عن النبي والولي — فلا يرد ما قال المعتزلة من أنه لو أمكن للإنسان من جهة الشيطان ظهور الخوارق والاختيار عن المغيبات لاشتبه طريق النبوة بطريق السحر .

وأما ما يتعجب منه — كما يفعله أصحاب الجليل بمجموعة الآلات المركبة على النسبة الهندسية نارة ، وعلى صيرورة الخلاء ملا — أخرى وبمجموعة الأدوية كالتارنجيمات ، أو يريه صاحب خفة اليد — فتسميته سحراً على التجرد ، وهو مذموم أيضاً عند البعض ، وصرح النورى فى الروضة بحرمته .

وفسره الجمهور بأنه حارق للعادة يظهر من نفس شريرة مباشرة أحوال مخصوصة .

والجمهور على أن له حقيقة ، وأنه قد يلعب الساحر إلى حيث يظهر فى الهواء ويمشى على الماء ويقتل النفس ، ويقلب الإنسان حاراً ، والفاعل الحقيقى فى كل ذلك هو الله تعالى — ولم تخرج منه بحكم الساحر من فلق البحر وإحياء الموتى وإنطاق المعجم وغير ذلك من آيات الرسل عليهم السلام (١) .

أما المرحوم سيد قطب فإنه أيضاً يتحدثنا عن السحر باعتباره من الحقائق التى لها وجود لا يمكن إخفائها بل من الحقائق التى ترى آثارها وتحس نتائجها ويعلم وجودها ، وأنه من المكابرة أن يقف إنسان لينق بيساطة مثل هذه القوى المجهولة فى الكائن البشرى لمجرد أن العلم لم يمتد بعد إلى حقائقها أو وسائلها التى يحرب بها هذه القوى .

إذ يقول :

لأنه ما يزال مشاهدا في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد .

لقد سمى بعضها بأسماء ولكنه لم يحدد كنهها ولا طرائفها ، هذا « التيليا » — التخاطر عن بعد — ما هو ؟ وكيف يتم ؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنسانا على أبعاد وفواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة ولا بصره فينتلق عنه دون أن تفهم بينهما الفواصل والأبعاد ؟

وهذا التنويم المغناطيسي ما هو ؟ وكيف يتم ؟ كيف يتبع أن قسيطر إرادة على إرادة ، وأن يتصل فكر بفكر ؟ فإذا أحدهما يوحى إلى الآخر وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر ، كأنما يقرأ من كتاب مفتوح ؟

إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم في هذه القوى التي اعترف بها هو أن أعطاه أسماء ، ولكنه لم يقل قط : ما هي ؟ ولم يقل قط كيف تم ؟

وثمة أمور كثيرة يمارى فيها العلم ، (ما لأنه لم يجمع منها مشاهدات كافية للاضراق بها ، وإما لأنه لم يستد إلى وسيلة تدخلها في نطاق تجاربه .

هذه الأحلام التيليتيه — وفرويد الذي يحاول إنكار كل قوة وروحية لم يستطع إنكار وجودها — كيف أرى رؤيا عن مستقبل مجهول ، ثم إذا هذه النبوءة تصدق في الواقع بعد حين ؟ وهذه حاسيس الخفية التي ليس لها اسم بعد ، كيف أحس أن أمرا ما سيحدث بعد قليل أو أن شخصا ما قادم بعد قليل ثم يحدث ما توقعت على نحو من الأنحاء ؟

وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة أو الجري وراء كل أسطورة... وإنما الأسلم والأحراط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه الجاهيل موقفاً مرثياً .

لا يتنى على الإطلاق ، ولا يثبت على الإطلاق حتى يتمكن بوسائله المتاحة له بعد ارتقاء هذه الوسائل من إدراك ما يعجز الآن عن إدراكه . أو يسلم بأن في الأمر شيئاً فوق طاقته ويعرف حدوده ويحسب للجهول في هذا الكون حسابه .

السحر من قبيل هذه الأمور ، وتعلم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور .

وقد تكون صورة من صورة القدرة على الإيحاء والتأثير ، إما في الحواس والأفكار وإما في الأشياء والأجسام — وإن كان السحر الذي ذكر القرآن وقوعه من سحرة فرعون كان مجرد تخفيف لا حقيقة (ظليل إله من سحرهم أنها تسمى) ولا مانع من أن يكون مثل هذا التأثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه وبين الصديق وصديقه فالانفعالات تنشأ من التأثيرات ، وإن كانت الوسائل والآثار والأسباب والمسببات لا تقع إلا بإذن الله (١) .

ويرى الإمام الفخر :

أن السحر في عرف الشرع يختص بكل أمر يخفى سببه ويختل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التويه والخداع وحق أطلق ولم يفيد أفاد ذم فاعله ، قال تعالى : **سحروا أعين الناس** ، يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن جبالهم وعصيم تسمى ، وقال تعالى : **ويخيل إليه من سحرهم أنها تسمى** ، وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويحمد ، روى أنه قدم على رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، فقال لعمر : **خبرني الزبرقان** ، فقال : **مطاع في لأديه شديد المعارضة مانع لما وراء ظهره** ، فقال الزبرقان : هو

(١) في ظلال القرآن ١٠ ص ٧٩ ط دار الشروق

واقه يصلح أني أصل منه ، فقلد عمرو إنه زمن المروءة ضيق العطن
أحق الأرب غنيم الخال يارسول الله صدقت عليهم ، أوصاني فقلت أحسن
ما علمت ، وأسخطني همت أسوأ ما علمت

فقل رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحرا ، هو الذي ﷺ بهن
البيان سحرا لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن
بيانه وبيع هورته .

فإن قيل كيف يجوز أن يسمى ما يوضح الحق ويبينه عنه سحرا ؟
وهذا المثل إنما قصد إظهار الحق لا إخفاء الظاهر ، وبهذه السحر إنما
يغير إحصاء الظاهر ؟

تدنا سماه سحر الوجوه :

الأول : أن ذلك القدر للظلمة وحسنه استتال القيوب ، أشبه السحر
الذي يستميل القيوب عن عده الوجه سمى سحرا ، لا من الوجه الذي
ظلمت .

الثاني : أن المفرد على البيان يكون قادرا على تحسين ما يكون
قبيحا ومبيح ما يكون حسيا ، وذلك يقبه السحر من هذا الوجه (١) .
هذا وقد ذكر الإمام الفخر أبوها السحر تذكروها يرحمها ودون
استطراد :

١ - سحر الكلدانيين والكساريين الذين كانوا في قديم الدهر وهم
قوم يعدون الكواكب وزعمون أنها هي المدبر لهذا العالم ، ومما تصدرو
طيرت والشرور والسعادة والنعوسة وهم المدين بسوءهم إبراهيم عليه
السلام مبطلا لعلهم وراة عليهم في مداهم

(١) تفسير الفخر الرازي ٣٠٠ ص ٢٠٥

السحر حقيقة ثابتة

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة .

ودذهب طائفة المعتزلة وبعض العلماء إلى أن السحر لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخيل وإيهام لتكون الشيء على ما هو به ، وأنه ضرب من الخلق والنعمة والعمدة .

كما قال تعالى : **وَيَحْيِي لُؤْلِيهٖ مِنْ سَحَرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمِيَةٌ** وقال أيضاً : **وَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** . حيث لم يوصى على حقيقة ولكن قال يتخيل إليه .

وهذا لا حجة فيه لأنه لا تنكر أن يكون التحيل وقهر من جهة السحر لكن ثبت وراء ذلك أمور جوارها العقل وورد بها السمع .

ومن ذلك ما ورد في آية البقرة من قوله تعالى : **وَيَعْلَمُونَ أَنَّ السَّحَرَ** وما أنزل على المسكين بآهل هاروت وماروت وما يعلم من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يعرفون به بين المرء ووجهه ، الآية (١) فقد ذكر السحر وبطلانه ولو لم يكن حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أسر تعالى أنهم يعلمونه الحسن ذلك على أن له حقيقة .

وقوله تعالى في قصة سحرة فرعون : **وَجَاءُوا بِسَحَرٍ عَظِيمٍ** ، وسورة الفلق مع أعماق المفسرين حتى أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعمس وهو مما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : **سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى رريق يقبض له لبيد بن الأعمس . الحديث .**

(١) البقرة : ١٠٢

وفيه أن النبي ﷺ قال : لما حن السحر : وإن الله شفاني ، والشهادة
لأنما يكون برفع الملة ودوال للرضى .

فدل على أن له حقيقة فهو مقطوع به بإسار الله تعالى ورسوله على
وجوده ووقوعه وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين يعتقد بهم لإجماع ،
ولاعترافهم مع اتفاقهم بعدم نزلة ومخالفتهم أهل الحق^(١) .

وعلى ذلك فالسحر حقيقة ثابتة دلت عليها نصوص الكتاب والسنة
وليس في ثبوته ووجوده استحالة عقليه بل يحيره العقل ويثبت السمع
والمشعر وهذا قطع به جبه العلماء وعامةهم يقول الإمام القرطبي^(٢) .

ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان ونكاه الناس فيه ولم يبد
من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله حتى قال من كذب به فهو كافر
مكذب لله ورسوله مسكر لما عدم مشاهدة وعما^(٣) .

هذا وقد اختلف المتأخرون له في تأثير السحر ، هل به تأثير مطلق بحيث
يغير المزاج ويكون مواسم الأمراض أو يقتضي إلى الإسهالة بحيث يصير
الاجهاد حذواً مثلاً وتلكه .

فاجمور على الأول ، ودعيت طائفة قليلة إلى الثاني
فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية لفسم ، وإن كان بالنظر إلى الواقع
فهو من خلاف وقد استدل من يرون أن السحر تأثيراً بدليلاً على وهو
أن العمل لا ينكر أن الله قد يحرق المادة عند نطق الساحر بكلام مطلق
أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص
ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض
حتى يمسبب السار منها غرضه فيصير بالتركيب نوعاً .

(١) انظر تفسير القرطبي ١ ص ٤٣٦

(٢) تفسير القرطبي ص ٤٣٦ ط الشعب

وروى سفيان عن عمار الدهني أن باب حراً كان عبد الوليد بن عمة
يمشي على الحصى ويدخل في إصبع الحمار ويخرج من فيه فاشتعل له جندب
على السيف «فقتله جندب» هذا هو جندب بن كعب الأزدى وإمالة الجلي -
«هو الذي قال في حقه عليه السلام» «سكون من أمي رجل يقال له جندب
يصرب حبرة بالسيف يهرق بين الحق والدخل»^(١)

وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما ذهب إلى سبيير ليعرض ثمرها
فمعه اليهود وامسكت يده فأجلام عمر.

وجهات امرأه إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أم المؤمنين ما عن
امرأة إذا عفت عيرها؟ فقالت عائشة: ومن نفهم مراده ليس عيرها شيء.
فقلت: في عفت زوجها عن النساء. فقالت عائشة: رضي الله عنها
أمر جوا هذه الساحرة^(٢) ويحكمي. أثبتته القرقي في ذلك «قوله تعالى:
«يتعلمون منها ما يهرقون به من المرأة ورجله ومامها» ينارون به من أحد
إلا يأخذ الله» وما أثبتته السبعة من تأثر إلى عليه السلام بالسحر

وتبين أن تأثير السحر لا يزيد على ما ذكره الله تعالى في قوله: «يهرقون
من المرأة ورجله» سكن. «م» ممام تنوي فلوجار أن يقع أكثر من ذلك
لأنه قد ثبت أن المرء من جهة الظهر أنه يهرق أن يقع أكثر من
ذلك. قال: والآية ليست خصاً في منع الريادة ولو قل لها طاهر في ذلك^(٣)

الفرق بين المعجزة والسحر

لا شك أن المعجزة أمر يختلف عن السحر من جميع الوجوه.
فالمعجزة من حلال مريدتها وشروطها لا يمكن أن تظهر على يد كاذب
حيث يظهر الله على يد مدعى النبوة تصديقاً له في دعواه.

(١) تفسير القرطبي من ٤٣٧ (٢) كتاب الزواجر من ٥٠٠

(٣) فتح الباري ٢١ ص ٣٥٢

ولو كان مدعى النبوة كاذباً فلا يمكن أن تظهر المعجزة على يده
موافقة لما رآه كما هو الشأن في المعجزة المنجدة بها .

ثم إن المعجزة فعل الله الخ لا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها أكثر من
الطلب أو الدعاء [وما كان رسول أن يأتي آية إلا بعدد الله] (١)
[وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما آيات عند الله وإليه
الغيب مبین] (٢) .

ولذلك كان المشركون يفترون على النبي ﷺ ويرد عليهم
بأنه ليس في مقدوره أن يفعل ذلك .

« وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون
لك جنة من نخيل وضرب فتفجر الأنهار خلالها تسبباً أو تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالهلال والليل أهليلجاً أو تكلم بآيات
من ربه أو ترى في السماء لسرقة نجون أو تاتي بالسحاب فتنزل
مياه من ربه على رؤسنا فتكون كالماء الحار » (٣) .

بجلاف السحر من الساحر يفعل مما شره لأسيابه التي تعلم
والسحرة أمروهم من عند الله لا تنال بكسب ولا تعلم وإنما تأتي كما قلنا
من الله تصديقاً لنبهه في دعوى النبوة .

بجلاف السحر فإنه أمر يعرف بالعلم والاعتقاد
ومن هنا فإن الذين يدرسون آيات الأنبياء من السحرة لا يأتون به
ما يأتي به الأنبياء كما حدث من سحرة فرعون حيث عرف السحرة أن
ما جاء به موسى عليه السلام ليس من قبيل السحر وأنه أمر مختلف عما فعلوه

(١) الزمر ٣٨ . (٢) العنكبوت ٤٥ .

(٣) الإسراء ٩٠-٩٤ .

ولذلك قال تعالى : « هو قبح الحلق ويضل ما كانوا يعملون ففسدوا هالك
ونفذوا صاعرين وألقى السحرة ساجدين قالوا أما برب العالمين » (١) .
والعجزة عارضة تخرج طوق البشر ومقدور العباد بخلاف السحرة (٢) .
في الحقيقة في مقدور البشر حيث يمكن عمله .

حكم السحر والسحرة

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره ذلك وقال

واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والبدعي ، وذهب إلى أن
المسلم إذا سحر بيمينه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته
لا أمر يستتر كالتدقيق والزي ، ولأن الله تعالى سمى السحر كفراً بقوله
[وما يعلمان من أحد حتى يقولوا] إنما نحن فتنة فلا تكفر [وهو قول أحمد
بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة

وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى
وقيس بن أسود وعن سبعة من التابعين ، وروى عن النبي ﷺ ر حنبل
الساحر حرباً باليمين [أخرجه الترمذي وابن أبي شيبة ، قالوا : لا يثبت
بن مسلم وهو صحيح قد علم ورواه ابن عدي عن سعيد بن مسهر عن
أحمد بن محمد بن مسعود .

قال ابن المنذر : وإذا أقصر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفراً
وجب قتله إن يتب وكذلك لو ثبت به عبثه بيمينه ووجهت اليه كلاماً
يكون كفراً ، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر
لم يجر قتله ، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتصر
فيه إن كان صمد ذلك ، وإن كان بما لا قصاص فيه إمعة دية ذلك .

(١) الأعراف ١١٨-١٢١

قال ابن المنذر . وإذا اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في المسألة وجب اتباع أشبههم بالكتاب والسنة .

وعن ذلك يحصل أمر من أمر مهم يقبل السحر على أنه سحر يكون يكون كفراً فيكون موافقاً لسنة رسول الله ﷺ ، ويحتمل أن يكون عائشة رضي الله عنها أمرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفراً .

هذه حنح محتج بحديث جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم [حدث الساحر . ضرب به السيف ولو صح لاحتمل أن يكون أمر يقبل الساحر الذي يكون سحره كفراً ، فيكون ذلك موافقاً للأخبار التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [لا يحصل دم امرئ مسلم إلا بحدي ثلاث] .

وبعد هذا صحيح ودمه مسلمين عظموه لا تسباح إلا بقتل ، ولا يمين مع الاختلاف والله تعالى أعلم .

ويرى ابن العربي أن حقيقة السحر أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى فهو كفر لكن قد يعارض في كتابه أنه كفر بهما [وقد كفر سليمان] يقول السحر [ولكن الشيطان كفره] [به وبغيره] وهارون وهارون يقولان [إنما عن فتنة فلا تكفر] وهذا تأكيدهما .

وأما ساحر لدمه قليل يحتل ، وقال مالك لا يمين إلا أن يدين بسحره ، ويضمن ما جنى ، ويضمن إن جاء منه ما لم يعاهد عليه .^(١)

وبعد هذا اختلفت الشرائع في السحر والسحرة يجب عليها أن تقع وقعة تأمل لوضع الأمور في بعضها عن حديث السحر الذي وقع رسول الله ﷺ كما جاء في الصحيحين .

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها . سحر

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٣٨

رسول ﷺ من نبي ربه يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يحسن إليه أنه كان يصنع الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو صدى لكنه دعا ودعا ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتى في استغيبه منه ؟

أما رجلان فقد أحدهما عبد رأس والأخر عبد رجعي ، فقال أحدهما لصاحبه : يا رجعي لرجل ؟ فقال : محبوب ، قال من طيبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال في أي شيء ؟ قال : في مشقة ومشاطة ، ووجه طلع نخله ذكر ، قال وأين هو ؟ قال في بئر دروان ، فأداه رسول الله ﷺ في رأس أصحابه فجاءه فذبح . يا عائشة كأن ما دعا بقاعة الجناء ، وكان رده من نخلها رهوس الثياطين فبنت : يا رسول الله ، أفلا استخرجته ؟ قال : هذا قال الله ﷻ منكره أن أثير على الناس فيه شرا فأمر بها بدهنت (١)

هذا حديث ثبت في الصحيحين وهو كما علم لا يحسن لأنكاره كما أنه في الوقت نفسه يثبت صراحة وقوع السحر للرسول ﷺ حيث كان يحسن إليه أنه يفعل الشيء وما فعله ولكن بعض المتدعة أنكروا هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة وبسببكم فيها قانون : وكل ما أرى إلى ذلك هو باطل ، وزعموا أن تحرير هذا بدم النملة عما شرعه محمد من الشرائع إذ يشمل كل هذا أنه يحسن إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم واه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .

قال المذري وهذا كله مردود لأن الدلائل قام على صدق النبي ﷺ فيما ينطق عن الله تعالى ، وعلى عصمته في التلخيص ، والمعجرات شهادات تصديقه وجوبها ما قام الدليل على جلاله باطل

(١) فتح الباري ٣/ ٢١ ص ٣٥٧ وما بعدها .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت
أثر مسألة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يرضى البشر ، كالأعراض وغير
بعيد أن يصيب إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته من
مثل ذلك في أمور الدين

قال وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه
أنه وطني ، زوجاته ولم يكن وطني ، وهذا كثير أما يصح بحمله للإيمان
في المنام فلا بعيد أن يخيل إليه في اليقظة

قلت : وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عبيدة حتى كان يرى أنه
يأتي النساء ولا يأتيهن ، وفي رواية المجهدي أنه يأتي أهله ولا يأتيهم .

فإن من : يظهر هذا أن البحر تسلط على جسده وظهور
جوارحه لا على تمييزه ومعرفته .

وفيل يحتمل أن يكون المراد بالنعيم المذكور أنه يظهر له من
شباطه ، ألغى من سابق عاداته من الاقتدار على الوطء فإذا ما من المرأة
وتعرض ذلك كما هو شأن العقود ويكون قوله في الرواية الأخرى { حتى
كاد يكر بصره } أي صار كذا في أكر بصره بحيث { إذ رأى الشيء
يخيل إليه أنه من غير عصمته ، فإذا تأمله عذب حقيقة

ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم يقل عنه في سير من الأحبار أنه قال قولاً
مكافئاً ما أشبه به .

وقال المذهب : صون النبي ﷺ من الشياطين لم يمنع إرادتهم كيد
فقد مضى في الصحيح أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه منه
منه ، فكذلك البحر ما قاله من ضرورة ما يدخل نفسا على ما يتعلق
بالتهليج ، بل هو جنس ما كان يناله من سائر الأمراض من ضعف من
الكلام أو مجر عن بعض الفعل أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول
ويحل الله كيد الشيطان .

واستدل من القصار على أن النبي أصابه كان من جنس لم يصح بقوله
في آخر الحديث

(أما بعد شعا في الله [١٣] .

وبه أنكره حديث السحر الإمام محمد بن عبد الله وذكر في تفسير
(السمات في العقد) .

أن المراد بهم الخاضعون لسلطانهم رواسط الأنفة ، المخرقون لها عايقون
عندما من ضررهم ، وإنما جهلوا العداوة كمال الآية لأن الله حينئذ
أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين أرادوا أن يخلوا عقدة
الطمة بين المرء وزوجه — مثلاً في يدهم به العناء من عضوا عقده
ثم تشو قيا وحلوا ليكون ذلك حلاً لعقدة التي بين الزوجين

وقالوا والسمعة أشبه أن تكون ضرباً من السحر لأنها تفعل ما يريد
الصديق من حبة إلى عداوة برسيلة حبة كاذبة

إلى أن قال :

وقد رويها ما [يعني في تفسير سورة الملق] عند قوله تعالى [ومن
شر السمات في العقد] .

رووا أحاديث في أن النبي — ﷺ — سحره ليدن الأعصم ، وأثر
سحره فيه حتى كان يحيل له أنه يصل الشيء وهو لا يدركه أو يأتي شيئاً وهو
لا يأتيه وأن الله أنباء بذلك . وأخرج مواد السحر من يده هو
ﷺ مما كان يارل به من ذلك وزلت هذه السورة .

ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام ، حتى يصل به الأمر

(١) فتح الباري — ٢١٠ من ٣٥٨

إلى أن يظن أنه يعمل شيئاً وهو لا عمله ليس من قسم الأمراض في الأبدان ، ولا من قبيل عروص السموم والسيان في بعض الآور العادية ، بل هو حاس بالمعنى أحد بالروح ، وهو بما يصدق قول المشر كين فيه : [إن يتحور إلا رجلاً مسحوراً] . وليس المسحور عديم [لا من حوله في عقله وسبيل له أن شذأ يقع وهو لا يقع ، يعني إله أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه] .

وقد قال كثير من المحدثين الذين لا يعقون النبوة ولا ما يجب بها . أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح عدم الاعتقاد . وعدم التصديق به من مدع الاستدعاء لأنه ضرب من إسكان السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر .

فانظر كيف يتقرب الحق الصحيح وحق الصريح في نظر المحدث بدعة ، عمود بانه ، يحتاج القرآن على ثبوت السحر ، ويحرض عن القرآن في بحه السحر عنه ﷺ وعده من اقترء المشر كين عليه .

ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك مع أن الذي قصده المشر كون ظاهر ، لأهم كانوا يقولون :

إن الشيطان يلبسه عليه السلام . وملاسة الشيطان تعرف بالسحر عديم ، وضرب من طروبه وجو بعينه أثر السحر الذي سبب إلى إيه ، فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم .

والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقصود به . وله كتاب الله بالبراة عن المحصوم ﷺ هو الذي يجب الاعتقاد به . وعدم الاعتقاد بما يبعده ، وقد جاء في السحر عنه عليه السلام حديث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشر كين أعدائه ووجههم عن زعمهم هذا فإذن هو ليس بمسحور قطعاً .

وأما الحديث على درص صحتة فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ به في باب
الامتنان وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله بعدد من العقائد
لا يؤخذ به ، بالنظر المظنون .

على أن الحديث الذي يوصل إلينا عن طريق الآحاد إنما يحصر الظن
بعدد من صح عنه ، أما من قامت له الكدلة على أنه غير صحيح فلا تقرر
به غاية حجة .

وعلى أي حال قلنا بل علينا أن نقرص الأمر في الحديث ، ولا نحكمه
في عيديننا ، ولما أخذ بنصر الكتاب وبديل العقل ، فإنه (د) ضوابط النبي
في عمله — كما رخصوا — جار عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه ،
أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم يزل عليه ، ولأمر ظاهر لا يحتاج
إلى بيان .

ثم إن نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقاً ، وربما جاز أن
يصيب السحر غيره بالجنس نفسه ولكن من أجهل أن يصيبه أن الله
عصمه منه .

على أن نافي السحر بآمره لا يجوز أن يعد مبتدعاً لأن الله تعالى لما
ذكر ما يعتقد به المؤمنون في قوله [آمن الرسول] الآية وفي غيره من دلائل
ووردت الأوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلم ولم يأت
في شيء من ذلك ذكر السحر على أنه مما يجب الإيمان بآمره أو وقوعه
على الوجه الذي يعتقد به المؤمنون في كل ملة — بل الذي ورد في الصحيح
أن نعلم السحر كسر .

فقد طلب ما أمر لا ينظر بالمرءة فيما يعرف عند الناس بالسحر
ويسمى باسمه .

ثم أول السحر بأن معناه في اللغة صرف الشيء عن حقيقته . وأن

المراد من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه لا مانع من أنه يكون هو تلك الطرق الخبيثة الدقيقة التي يصرف الزوج عن زوجته والزوجة عن زوجها .

كما في تلك الطرق التي تتعمد ويطلب الاستدانة لتبليها لتعلم أساليب التعريف بين الناس لمن يريدون أن يكون من عيال السياسة والحكومات .
وذكر أن سحرة مرعون كان ضربا من الخيلة ولذلك قال [تخيل] به من سحره لها لسمي] .

ثم ذكر أن هذه السورة [سورة الملق مكية] مكسبة يصح أن تكون ذلك هي سحر النبي ﷺ وقد كان ما يزعمونه من السحر في المذهب .

رد وتعليق

أولا . ذهب الأستاذ الإمام إلى أن ما هي السحر بالمرء لا يمدتداه .
وحي لا نسلم ذلك لأن السحر ثابت بنص القرآن في شأن هود وماروت وفي شأن سحرة مرعون ولا يصح أو يل الكلمة وحصرها عن حقيقة [لا إذا كان هناك مانع من هذا المعنى وهذا أمر يهدت حقيقة السحر بذلك أمر معروف ومشهور بين الناس قديما وحديثا في جملة و... كانت تعاصله ونظم بحقيقته لا يكون إلا بالتعلم .

كما أن القرآن أثبت أن موسى عليه السلام لما رأى سحرة مرعون أوجس من هذه حقيقة منهم حتى أحاد الله له الثقة والقوة بقوله [قدنا لا تخف ربك أنت الأعلى] (١) .

(١) أنظر تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ١٢٨ وما بعده

(٢) طه ٦٨

وأثبت القرآن الضرر إذا شاء سبحانه ذلك فقال (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذنه) فدل ذلك على أن السحر حقيقة ثابتة وأنه يمكن بإذن الله أن يحدث منه ضرر وأثر وليس الإيمان بالسحر نفسه بما يجب الإيمان به كسحر وإنما يجب الإيمان بما ذكر في القرآن المقطوع به وهو ما يرى الإمام وجوب الإيمان به وأما تأويل السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه بالتميمة فذلك خروج عن الحقيقة ومبالغة في التأويل وصرف الكلام عن حقيقته لاداعي له بل لا يصح لأن القرآن ذكر أن الشياطين يعلمون الناس وأنهم كفروا بذلك وأن الملكين يعلمان كذلك السحر وأنها (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وما يزال الحديث عن السحر إلى آخر الآية دليلاً على أنه حقيقة دون قرينة ولو أن هذا كان من باب التهمة لصرح القرآن بذلك ولو مرة واحدة أو ذكر قرينه تدل على ذلك .

ثانياً : أنكر الاستناد للإمام حديث سحر لبيد لنبى ﷺ معتمداً على ما تقدم مما قاله وهو بهذا يخالف جمهور علماء المسلمين ولم يوافقه إلا المعتزلة وقليل غيرهم مع أن الحديث ثابت في الصحيحين وفي غيرها من كتب السنة والتشكيك في السنة وعامة ما تلفته الأمة بالقبول أمر خطير . وقد أجاب العلماء عن شبهته في الحرص على مقام النبوة من التشكيك بما ذكر سابقاً في نقولنا عن فتح الباري وغيره وخلاصة ذلك أن غاية ما تدل عليه أحاديث السحر أنه أثر في بدنه ﷺ دون روحه وعقله حيث كان تأمره في الأعراض الجسدية البشرية التي لم يحصم فيها الأنبياء .

وأما أمور الوحي والدين والتبليغ فهي أمور حصم الله تعالى فيها أنبياءه من الخطأ كما حصم ﷺ من الناس أى من الاقتلات لا من الأذى .

ثالثاً : ذكر الاستناد للإمام أن المودعين مكينان هل قول بعض

الصعابة والتأبين ويمكن الجواب عن ذلك بأنهما قد يكون تكراراً لهما مرة بمكة ومرة بالمدينة عند استخراج ما صنمه ليد من السحر من البئر. هذا وقد قسر مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك (النفائات في العقد) بالسواحر.

وأخرج الطبري عن جماعة من الصعابة وغيرهم أن النفس في العقد هو السحر .
وأخيراً .

فإننا نرجح أن السحر خيفة ثابتة وأنه يقع كثيراً وله تأثير على الجسم .

والنفس وهذا رأى جمهور العلماء .

ويؤازره الكتاب والسنة .

هل يباح تعليم السحر وتعلمه ؟

قال الإمام الألويسي .

واختلف في تعليمه وتعلمه (أي السحر) .

فقيل كثر هذه الآية إذ فيها ترتيب الحكم على الوصف المناسب وهو
بمعنى بالعلية .

وأجيب بأن لا نسلم أن فيها ذلك لأن المعنى أنهم كفروا وهم ذلك
يملكون السحر .

وقيل لأنهما حرامان — وبه قطع الجمهور .

وقيل مكروهان — ولأنه ذهب اليميني .

وقيل مباحان .

والتعليم المساق للذم هنا محمول على التعليم للإغواء والإضلال وإلية
 حال الإمام الرازي قائلا : [انفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس
 بقبیح ولا محظور لأن العلم لذاته شريف لمعوم قوله تعالى [هل يستوى
 الذين يعلمون والذين لا يعلمون] ولو لم يعلم السحر لما أمكن الفرق بينه
 وبين المعجزة ، والعلم يكون المعجز معجراً واجباً ، وما يتوقف الواجب
 عليه فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً ،
 وما يكون واجباً كيف يكون حراماً وقبيحاً ؟ ونقل بعضهم وجوب
 تعلمه على الملقى حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل به فيبقى به في وجوب
 القصاص] .

والحق عندي : الحرمة تبعاً للجسور إلا لدواع شرعية .

وفيما قاله رحمه الله تعالى نظر :

أما أولاً : فلأننا لا ندعى أنه قبيح لذاته وإنما قبحه باعتباره ما يترتب
 عليه من باب سد الذرائع وكمن أمر حرم لذلك ومن الحديث [من حرم
 حول الخبي يوشك أن يقع فيه] .

وأما ثانياً : فلأن توقف الفرق بين المعجزة على العلم به ممنوع
 ألا ترى أن أكثر العلماء أو كلهم إلا النادر عرفوا الفرق بينهما ولم
 يعرفوا علم السحر وكفى فارفاً بينهما ما تقدم ولو كان تعلمه واجباً لذلك
 لرأيت أعلم الناس به الصدر الأول مع أنهم لم ينقل عنهم شيئاً من ذلك
 أفتراهم أدخلوا بهذا الواجب وآتى به هذا القاتل أو أنه أدخل به كما
 أدخلوا ؟ .

وأما ثالثاً : فلأن ما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن إفتاء الملقى
 بوجوب القدر أو عدمه لا يستلزم معرفته بعلم السحر لأن عبودية إفتاءه

على ما ذكر العلامة ابن حجر إن شهر عدلان عرفا السحر وتابا منه أنه
يقتل عالياً قتل الساحر وإلا فلا (١).

ورأى الجمهور هو ما ترجمه .

لأن القول بإباحة تعلم السحر وتعالجه يفتح كثيراً من أبواب الشر
على الأمة وهذا في خدماته يسكني لأن درء المفسد مقدم على جلب
المصالح .

كما أن ذلك قد يفسح المجال أمام السفهاء والمفكرين لإشاعة الفساد
ونشر الجهل والعمالة ونحوه في عصر ما أحوجنا فيه إلى الجدية والعمل
المثمر والإلتزام بما أمر به الكتاب والسنة لنعيد للإسلام مجده وعونه
أمام الركائز الحائل من التحديات والحرب العنيفة للإسلام والمسلمين .

أ. د/ محمد البيومي عبد الحكيم مدته

الأستاذ المساعد

في التفسير وعلوم القرآن بالكلية